

للوحدة والتعايش والاستمرار ٠٠ في الواقع لا نرتجي من لبنان اكثر بكثير مما هو عليه « (٣) » .

الا يبدو كمال جنبلاط ايضا متأثرا بفكرة شيحا عن المتوسطة (التي اختص بتطويرها رينيه حبشي) وصولا الى حد اكتشاف ان لسكان المتوسط « طباع وعادات في التفكير والتصرف مشتركة واقتصاد مشترك وحياة وحضارة مشتركة ٠٠ وحتى الجنس البشري هو مشترك ٠٠ » (٤) .

الا يمكننا ان نكتشف لدى جنبلاط « لبنان هو بلد اللغتين في الواقع ٠٠ بلد تعددت اللغات » (٥) ملامح النظرية التي طورها الاب سليم عبو عن ميشال شيحا: ثنائية اللغة صفة ملازمة للقومية اللبنانية لا بل احد عناصرها الرئيسية !

ان طرح اشكالية العلاقة بين كمال جنبلاط والمفكرين الذين اسسوا الايديولوجيا « اللبنانية » . يوجب . عمليا ، طرح اشكالية الصيرورة التاريخية ومواكبته لتطورات سياسية كانت تدفع بصاحبه ، اكثر فأكثر ، بعيدا عن المصالحة مع « الصيغة » والوضع القائم نحو الاصطدام الجدي بهما ٠٠

ويفيد طرح هذه الاشكالية في استخراج القضايا التي بقيت تشكل عناصر ثابتة في فكر جنبلاط . لا بل عناصر ثابتة في تحليلات يسارية للمجتمع اللبناني تدمج ، بنجاح . بين الحقائق العامة للاشتراكية العلمية والواقع اللبناني - والعربي - الخاص .

كان جنبلاط في مرحلة من تطوره - من ١٩٤٦ الى ١٩٥٦ - صاحب تفكير « لبناني » منفتح على العروبة ، اصيل في ديمقراطيته (٦) ، متوسطي النزعة ، يحاول الوقوف على مسافة متساوية من الاطروحات الطائفية العروبية واللبنانية مع ميل واضح لتحميل « التهويمات الاقلوية والطائفية » (٧) مسؤولية الانعزال عن « التعاون العربي » .

نظرته للواقع اللبناني على انه مجتمع متعدد الطوائف ، ارست مشكلته مع نظام المتصرفية . كانت تدفع به نحو تبني حلول تتراوح بين تثبيت الواقع القائم بعد حمايته بقوانين خاصة ، او تجاوزه نحو الغاء الطائفية السياسية ٠٠

وليس اسهل من اكتشاف ان هذا القدر من الاحترام للتركيب الداخلي يوازيه من الجهة الاخرى موقف شبه متحفظ من قضية عروبة لبنان هو موقف ، كان يخترق على كل حال سقف المواقف المعروفة يومذاك (مطلع الخمسينات) ، لي طرح على نحو آخر ، حضاري ، ثقافي ، تعارفي ، صلة لبنان بالعالم العربي ٠٠ كما انه ليس اسهل من اكتشاف ان هذه الفترة كانت فترة الاستمرار في اسرار الاوهام التقليدية المعروفة للايديولوجيا اللبنانية : الهجرة ، الدور العقلاني المتوسطي ، المبادرة الحرة ، الديمقراطية من النمط الخاص ، والدور الخاص